السفارات بين الفاطميين والدولة النورية
(٥٤٤- ٥٦٧هـ/ ١١٤٩- ١١٧١م)

محمود عبد المنعم أمين حميده
باحث دكتوراه – تاريخ إسلامي – جامعة الفيوم

ملخص البحث:

استطاع عماد الدين زنكي أن يقيم إمارة في الموصل وحلب، وقاد عماد الدين زنكي الكفاح ضد الصليبيين، واستطاع ضم شمال الشام إلى مملكته، وتوفيَّ سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م قبل أن يقضي على الصليبيين، وخلفه ابنه نور الدين محمود في الكفاح ضد الصليبيين.

لعبت الظروف السياسية في العالم الإسلامي دورًا كبيرًا في نشأة العلاقات الدبلوماسية بين نور الدين محمود والدولة الفاطمية، وتبادل السفارات، إذ طمحت كلتا الدولتين في القضاء على الحملات الصليبية وحماية الحدود، وقد بدأت السفارات بين الدولتين سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م أثناء خلافة الظافر بالله الفاطمي، حيث قرر الوزير ابن السلار إرسال سفارة لنور الدين محمود لتوحيد الجهود ضد الصليبيين، وقد توالت السفارات بين الجانبين بقصد تشتيت القوات الصليبية عن طريق إخراج القوات الفاطمية والنورية في آنٍ واحد.

كانت آخر السفارات بين الدولتين في فترة الخليفة الفاطمي العاضد، حين أرسل مستنجدًا بنور الدين محمود؛ لأن الصليبيين قد قتلوا وسبوا كثيرًا من المصريين من مدينة بلبيس، وقد عرضت السفارة الفاطمية على نور الدين ثلث خراج مصر، إضافةً لوجود أسد الدين كنائب عن نور الدين محمود في مصر، وبالفعل استجاب نور الدين، وأرسل النجدة للدولة الفاطمية، واستطاع نور الدين إنقاذ المصريين من الصليبيين وأفعالهم المنكرة.

الكلمات المفتاحية: نور الدين محمود – ابن السلار– شاور– العاضد – الصليبيون – الدولة النورية – الفاطميون.

Embassies between the Fatimids and the Nuri State (544-567 AH/ 1149-1171 AD).

Mahmoud Abdel Moneim Amin Hemida

Abstract:

Imad al-Din Zangi was able to establish an emirate in Mosul and Aleppo, and Imad al-Din Zangi led the struggle against the Crusaders, and he was able to annex the north of the Levant to his kingdom.

The political conditions in the Islamic world played a major role in the establishment of diplomatic relations between Nur al-Din Mahmoud and the Fatimid state and the exchange of embassies between them, as both countries aspired to eliminate the Crusaders and protect their borders. Minister Ibn al-Sallar sent an embassy to Nur al-Din Mahmoud to unite efforts against the Crusaders, and embassies successively passed between the two sides with the intention of dispersing the Crusader forces by expelling the Fatimid and the Nuri forces at the same time.

The last of the embassies between the two countries was during the period of the Fatimid Caliph al-'Adhid, when he was sent to seek the help of Nur al-Din Mahmoud because the Crusaders had killed and taken captive many Egyptians from the city of Belbeis. Nur al-Din sent his helping to the Fatimid state, and Nur al-Din was able to save the Egyptians from the Crusaders and their reprehensible actions.

Keywords: Nour al-Din - Ibn al-Sallar - Shawar - al-'Adhid - The Crusaders - The Nuri State - The Fatimids.

نشأة الدولة النورية:

تعود نشأة الدولة الزنكية إلى قسيم الدولة آق سنقر الحاجب[١]– والد عماد الدين زنكي، وجدّ نور الدين محمود بن زنكي[٢] – الذي كان مملوكًا للسلطان العادل عضد الدولة ألب أرسلان[٣]، فربيَّ مع ولده السلطان العادل جلال الدولة ملكشاه، واستمر في صحبته حتى

---

[١] كان أحد أشهر وأهم القادة لدى السلاطين السلاجقة، وقد عمل على تثبيت الحكم السلجوقي، خاصةً في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه، وعمل على التخلص من الانفصاليين، إذ قام سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م بالاستيلاء على الموصل، وطرد بني عقيل منها، وقام بهذا التصرف في الأماكن التي كانت تشهد الخروج على السلاجقة، ونتيجةً للتضحيات الكبيرة التي قدمها أق سنقر؛ أمر السلطان السلجوقي له بحكم حلب وحماة ومنبج واللاذقية، وقد استغل أق سنقر الأمر أحسن استغلال؛ إذ عمل على توطيد الحكم ونشر العدل والرخاء، وظل كذلك حتى توفيَّ سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٥م في موقعة تل السلطان ضد الامير السلجوقي بركياروق. ابن العديم: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفي ٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (د.ت)، ج٤، ص١٩٥٥– ١٩٥٦؛ محمد مؤنس عوض: في الصراع الإسلامي الصليبي (السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١– ٥٦٩هـ/ ١١٤٦– ١١٧٤م)، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٨م، ص٣٠–٣١.

[٢] نور الدين محمود بن محمود بن زنكي، وُلد في شوال سنة ٥١١هـ/ ١١١٨م، تلقب بألقاب عديدة منها تقي الملوك، ليث الإسلام، ناصر أمير المؤمنين، ونور الدين، رفع راية الجهاد ضد الفرنج وقاتلهم قتالًا شديدًا، واستولى منهم على حصونًا كثيرة، قام بالعديد من الإصلاحات، فأقام المدارس والمساجد بحلب، كما قام ببعض الإصلاحات في المدينة النبوية، إذ أمر باستكمال سور المدينة، وتوفيَّ سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م، الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (المتوفي ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج٢٠، ص٥٣٢– ٥٣٥.

[٣] أبو شجاع محمد بن جعفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب عضد الدولة ألب أرسلان، وهو ابن أخي السلطان طغرلبك، وعن كيفية توليه الحكم، فعندما مات السلطان طغرلبك، نص على تولية الأمر لسليمان بن داود شقيق ألب أرسلان، ولم ينص عليه إلا لأن أمه كانت عنده، فتبع هواها في ولدها، فقام سليمان بالأمر، وثار عليه أخوه ألب أرسلان وعمه شهاب الدولة قتلمش، وجرت بينهم خطوب، فلم يتم لسليمان الأمر، وكانت النصرة لألب أرسلان، فاستولى على الممالك، وعظمت مملكته، ورهبت سطوته، وفتح من البلاد ما لم يكن لعمه طغرلبك مع سعة ملك عمه، ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي (المتوفي ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٩٤م،ج٥، ص٦٩؛ الحضرمي: أبو محمد=

شب عن الطوق، وأفضت السلطنة إليه، فجعله من أعيان دولته، واعتمد عليه في أموره كلها، وعلت مرتبته ومنزلته إلى أن نال لقب قسيم الدولة[٤]، وقد أعطاه ملكشاه حكم حلب سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، ولكن قُتل قسيم الدولة بعدها بعامين عن طريق تتش شقيق ملكشاه، وتربى ابنه عماد الدين زنكي تربية بعيدة عن النفوذ والسلطان، ودخل في خدمة أتابكة الموصل، وظل يترقي إلى أن نال ثقتهم، وأصبح له مكانة كبيرة، وقد ذاع صيته في البلاد، وفي هذه الأثناء؛ توفيَّ عز الدين مسعود بن البرسقي أتابك الموصل وحلب، فذهب وفد من أعيان الموصل إلى بلاط السلطان محمود السلجوقي في فارس طالبين منه تعيين حاكم جديد، ووقع اختيار السلطان السلجوقي على عماد الدين زنكي[٥].

بعد سلسلة من الأحداث والصراعات، استطاع عماد الدين زنكي أن يقيم إمارةً له في الموصل وحلب، وقد عمل عماد الدين على مواجهة أطماع الصليبين، لكن واجهته بعض العوائق، منها حالة التمزق السياسي في العالم الإسلامي، فعمل على توحيد جبهة العالم الإسلامي لمحاربة الصليبيين، وبدأ بتحقيق نجاحات كبيرة في هذا الأمر، واستطاع ضم شمال الشام إلى مملكته، وقد توفيَّ عماد الدين زنكي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، وبعد وفاته خلفه ابنه نور الدين محمود في بلاد الشام[٦]، وفيما يلي الحديث عن السفارات بين نور الدين محمود وبين الفاطميين، وما صحب ذلك من أحداث.

= الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠-٩٤٧هـ)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج، الطبعة الأولى، جدة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م، ج٣، ص٤١٧.

[٤] ابن واصل التميمي: محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم بن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين (المتوفي ٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، ج١، ص١١.

[٥] سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية (صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى)، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧١م، ص٥٦٣- ٥٦٦.

[٦] محمد سهيل طقوش: تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام (٥٢١- ٦٣٠هـ/ ١١٢٧- ١٢٣٣م)، دار النفائس، الطبعة الثانية، بيروت ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٩- ١٠.

السفارة الفاطمية سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م[٧]:

ترجع بدايات السفارات بين الجانبين الفاطمي ونور الدين محمود إلى فترة ما قبل استيلاء نور الدين على دمشق، ففي خلافة الظافر بأمر الله الفاطمي (٥٤٤ – ٥٤٩هـ/ ١١٤٩ – ١١٥٤م) أرسل وزيره علي بن السلار[٨] سفيرًا إلى نور الدين محمود يطلب منه معاونته في مهاجمة الصليبيين، وكان هذا السفير هو أسامة بن منقذ، الذي قال عن هذه السفارة[٩]"تقدم إلى الملك العادل رحمه الله– علي بن السلار– بالتجهيز للمسير إلى الملك العادل نور الدين رحمه الله، وقال: تأخذ معك مالًا وتمضي إليه لينازل طبرية، ويشغل الفرنج عنا لنخرج من ها هنا نخرب غزة".

لم تتحقق أهداف هذه السفارة كاملةً، حيث أن نور الدين تخوف من انضمامه إلى الفاطميين في حربهم ضد الصليبيين، ولم تكن أموره قد استقرت في دمشق بعد، وعبَّر نور الدين عن قلقه قائلًا لابن منقذ: "يا فلان، أهل دمشق أعداء والإفرنج أعداء، ما آمن منهما إذا دخلت بينهما"[١٠].

---

[٧] لم يذكر ابن منقذ في كتاب الاعتبار تاريخ هذه السفارة، لكنه ذكر بعد حديثه عن السفارة – وفي أثناء طريقه لتجنيد الناس لحرب الصليبيين – أن ذلك كان في شهر ذي الحجة، وهذا يرجح أن السفارة كانت ٥٤٤هـ؛ لأن الوزير علي بن السلار تولى الوزارة في هذه السنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م، ابن منقذ: أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكلبي الشيزري (المتوفي ٥٨٤هـ)، الاعتبار، تحرير: فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر(د.ت)، ص١٠.

[٨] أبو الحسن علي بن السلار وزير الخليفة الظافر الفاطمي، قيل بأنه أصله كردي، وتولى العديد من المناصب بالصعيد، وولاه الظافر الفاطمي الوزارة في رجب سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، وقيل تولاها في ذي القعدة سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٩م، وكان ينعت بالملك العادل سيف الدين، وبأمير الجيوش، وظل بالوزارة إلى أن قتل في شهر المحرم سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م بمؤامرة اشترك فيها الخليفة الفاطمي الظافر وحفيد إمرأة علي بن السلار. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي (المتوفي ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ج٣، ص٤١٧.

[٩] ابن منقذ: الاعتبار، ص١٠.

[١٠] ابن منقذ: الاعتبار، ص١٤.

وعن أسباب فشل السفارة، فيرى الباحث بأن عدة أمور حالت دون نجاح السفارة وكان من أهمها الحملة الصليبية الثانية وما مثلته من ضغوط على نور الدين إذ تخوف من فقد جنوده في معركتهم ضد الصليبيين، أيضا تخوف من اتحاد مجير الدين[١١] مع الصليبيين على المتبقين من جند نور الدين والقضاء عليهم، ولعل ما فعله حاكم دمشق مجير الدين الذي عقد مع الصليبين معاهدة تحالف ضد المسلمين، وعندما اتجه نور الدين لدمشق طالباً المدد والعون كان حاكمها مجير الدين وقع تحالف مع الصليبيين ويقول ابن القلانسي[١٢]: "وقد كانوا عاهدوا الافرنج أن يكونوا يداً واحدةً على من يقصدهم من عساكر المسلمين"، وقد حاول نور الدين توضيح أهدافه لمجير الدين ومحاولة جمع الصفوف معه فأرسل له رسالة عبر فيها عن غضبه وقال له" إنني ما قصدت بنزولي هذا المنزل طلبا لمحاربتكم ولا منازلتكم وإنما دعاني إلى هذا الأمر كثرة شكاية المسلمين من أهل حوران والعربان بأن الفلاحين أخذت أموالهم وسبيت نساؤهم وأطفالهم بيد الإفرنج"[١٣].

لم تأت هذه الرسالة بما كان يرجوه نور الدين محمود واكتفي بإقامة الخطبة له على منابر دمشق، ولم تكن الدولة العباسية أو الفاطمية أحسن حالاً من أمراء دمشق حيث كان الفاطميون يعيشون فترة ضعف واختفاء لنفوذ الخلفاء وكذلك كان العباسيون.

سفارة سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م:

في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م أرسل نور الدين محمود سفيرًا إلى الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله (٥٤٩-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م)، وكان هذا السفير اسمه زين الحجاج، وكان معه السفير الفاطمي الذي سبق أن جاء إلى دمشق سفيرًا

---

[١١] عندما عرض عليه نور الدين المساعدة ومحاربة الصليبيين عند نزولهم سنة ٥٤٣هـ، وتعهد له بأنه لن يدخل دمشق اذا انتصر على الصليبيين وأن كل هدفه هو حماية المسلمين إلا أن مجير الدين لم يستجب له، ابن شاكر: محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي(ت ٧٦٤هـ)، عيون التواريخ، ج١٧، لوحة رقم ٦.

[١٢] تاريخ دمشق، ج١، ص٤٧٨.

[١٣] أبو شامة: الروضتين، ج١، ص٢٤٠.

من ناحية الفاطميين[١٤]، ثم عاد سفير نور الدين محمود إلى دمشق سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م، ومعه جواب على رسالة نور الدين، وقد أرسل الفاطميون مع سفير نور الدين هدايا متنوعة؛ فكان منها الأسلحة وغير ذلك من الهدايا والتحف قيمتها ثلاثون ألف دينار، كما أرسل الفاطميون مع سفير نور الدين سبعين ألف دينار ليستعين بهم في تجهيز جنوده في حروبهم ضد الصليبيين[١٥]، لم تذكر المصادر التاريخية الهدف من هذه السفارة إلا أنه يستشف من الهدايا الفاطمية المادية لسفير نور الدين أن السفارة كانت بهدف توثيق التعاون ضد القوات الصليبية وحاجة قوات نور الدين إلى المال لتجهيز الجيش لحربهم ضد الصليبيين.

سفارة سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م:

وفي هذه السنة أرسل نور الدين محمود سفارةً برئاسة الحاجب محمود المسترشدي إلى مصر، ومعه السفير المصري الذي أُرسل إلى نور الدين، وكان مع سفير نور الدين أجوبة على طلبات السفارة الفاطمية إليه[١٦].

كان الغرض من هذه السفارة – بالإضافة إلى الرد على الدولة الفاطمية – طلب العون والمساعدة العسكرية، لأن الإمبراطور البيزنطي أراد غزو صاحب أرمينية؛ فبعث يعلم نور الدين بذلك، فكتب نور الدين يستنجد الملك الصالح على الفرنج، ولهذا أرسل نور الدين السفارة ليخبر الفاطميين بأنه متوجه نحو بلاد الفرنج، طالبًا منهم إخراج العساكر المصرية لمعاونته، ففعل الفاطميون ذلك[١٧].

سفارة سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م:

---

[١٤] ابن القلانسي: حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي (المتوفي ٥٥٥هـ)، تاريخ دمشق لابن القلانسي، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ج١، ص٥١٩.

[١٥] ابن ميسر: محمد بن علي بن يوسف بن جلب، أخبار مصر، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩١٩م، ج٢، ص٩٨.

[١٦] ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج١، ص٥٥٤.

[١٧] المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (المتوفي ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، الجزء ٢– ٣: تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، ج٣، ص٢٣٦.

أسباب السفارة:

تمكن الصليبيون تحت قيادة الملك عموري الأول من البلاد المصرية في شهر صفر سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م، وانطلقوا في الأراضي المصرية حتى ملكوا بلبيس في هذه السنة، ونهبوها وقتلوا أهلها وأسروهم، ثم ساروا من بلبيس باتجاه القاهرة للاستيلاء عليها، وعندما علم الوزير الفاطمي شاور[١٨] بتحركات الصليبين، قرر حرق مدينة مصر، خوفًا من أن يملكها الفرنج، وأمر أهلها بالانتقال إلى القاهرة، فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يومًا[١٩].

أحداث السفارة:

أرسل الخليفة الفاطمي العاضد سفارةً إلى السلطان نور الدين محمود ومعها كتب، وبها شعور النساء؛ لأن الفرنج ملكوا بلبيس قتلًا وسبيًا ونهبًا[٢٠]، وأرسل العاضد إلى نور الدين رسالةً قال ابن أيبك الدواداري أنه رأى هذه الرسالة التي كان نصها: "وا غوثاه! وا غوثاه! وا غوثاه! إلحق دين الإسلام! أدرك أمة محمد عليه السلام! يا نور الدين! يا نور الدين! يا نور الدين"[٢١].

---

[١٨] هو أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار بن عشائر بن شاش، تدرج في المناصب وعينه الصالح بن رزيك أمر الصعيد الأعلى، ثم ندم الصالح على توليته؛ وذلك لقوة وشجاعة شاور، وعندما احتضر الصالح، أوصى ابنه بعدم عزل شاور، لكن ابنه خالف وصيته وعزله، فثار عليه شاور وتولى الوزارة مكانه، ويعد شاور أول وزير فاطمي من وزراء السيوف عربي النسب، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٢٠٩؛ محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٢٨٨.

[١٩] أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفي ٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ج٣، ص٤٥.

[٢٠] ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (المتوفي ٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، ج٢، ص٧٣.

[٢١] ابن أيبك الدوادري: أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري (المتوفي بعد ٧٣٦هـ)، كنز الدرر، الجزء السابع، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر، صلاح عيسى البابي الحلبي،(ل.م)، ١٣٩١ هـ – ١٩٧٢ م، ج٧، ص٣٠.

جاءت هذه السفارة نتيجة ما تتعرض له الديار المصرية على أيدي الصليبيين؛ فطالبت الطبقات المختلفة بدعوة القوات الشامية خوفًا من سقوط مصر في أيدي الصليبيين، وكان على رأس هذه الفئات المطالبة بقدوم نور الدين محمود؛ الكامل ابن الوزير شاور، والذي خرج عن سياسة أبيه، كذلك كان للقاضي الفاضل ابن بيسان دور كبير في تولي المكاتبات مع نور الدين[٢٢].

أُرسلت السفارة، وقد عرض الخليفة العاضد (٥٥٥ – ٥٦٧هـ/ ١١٦٠ – ١١٧١م) على نور الدين ثلث خراج ديار مصر، وأن يكون أسد الدين[٢٣] مقيمًا عندهم في عسكر، يكون مقطعًا في الديار المصرية خارجًا عن الثلث المختص به[٢٤]، فأسرع نور الدين محمود في التجهيز للحملة، وأرسل إلى أسد الدين شيركوه – الذي كان مقيمًا بحمص– وفتح له الخزائن، وأطلق له الأموال على أن يتوجه بجنوده صوب الديار المصرية؛ لتخليصهم من أذى الصليبيين، فتوجه أسد الدين إلى الديار المصرية، وكان قوام جيشه عشرة آلاف فارس[٢٥].

وذكر ابن الأثير مدى تأثر نور الدين محمود بالأخبار الواردة من مصر؛ فيقول ابن الأثير أنه حُكيَّ له عن صلاح الدين أنه قال: "أحضرني – نور الدين – وأعلمني الحال، وقال: تمضي إلى عمك أسد الدين بحمص مع رسولي إليه ليحضر، وتحثه أنت على

---

[٢٢] محمد سهيل طقوش: تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، ص٣٦٥.

[٢٣] شيركوه بن شادي المعروف بأسد الدين، تولى دمشق مدة، وقام بحرب الصليبيين، وكانت له معارك طاحنة ضدهم، وفتح حصونهم، قصد مصر لإنقاذها من الصليبين والوزراء الضعفاء على ثلاث مرات، واستطاع دخولها في المرة الثالثة، وكانت أيام أسد الدين بمصر حوالي ستين يومًا، وتوفيَّ رحمه الله بمصر في يوم السبت سنة أربع وستين وخمسمائة بعد أن حصرها الصليبيون، واستنجد أهلها بأسد الدين، فأتاهم معينًا لهم، فرد الفرنج عنهم، وقتل شاور، واستولى على مصر. ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفي ٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج ٢٣، ص٢٨٤.

[٢٤] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٤٧.

[٢٥] ابن أيبك: كنز الدرر، ج٧، ص٣١؛ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر (تفسير جديد)، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٢٣١.

الإسراع، فما يحتمل الأمر التأخير، ففعلت، وخرجنا من حلب، فما كنا على ميل من حلب حتى لقيناه قادمًا في هذا المعنى، فأمره نور الدين بالمسير إلى مصر"[٢٦].

موقف الصليبيين من اتجاه نور الدين للسيطرة على مصر:

بعد إحراق المدينة من قبل شاور، لم يفت ذلك من عزيمة الصليبين؛ وإنما اشتدوا في حصار القاهرة، وأمام التفوق العسكري للصليبيين وضعف القوات الفاطمية عن ردهم، اضطر شاور إلى إعمال الحيلة والدهاء، وتعامل شاور في هذا الموقف بفطنة ودهاء كبير، واستطاع إبعاد الصليبين عن مهاجمة القاهرة[٢٧].

أرسل شاور إلى ملك الفرنج عموري الأول (١١٦٢- ١١٧٤م) يذكر له مودته ومحبته القديمة له، وأنه يريد تسليم المدينة، لكن المسلمين يرفضون ذلك، وأشار على ملك الصليبيين بالصلح، وعرض عليه مال مقابل رحيله عن مصر، فأجابه إلى ذلك على أن يعطوه ألف ألف دينار مصرية، يُعجل البعض، ويُمهل بالبعض، وقد قبل الصليبيون بالعرض المقدم من قبل شاور؛ لأنهم رأوا أن البلاد قد امتنعت عليهم، وربما سلمت إلى نور الدين، فأجابوا كارهين، "وقالوا: نأخذ المال فنتقوى به، ونعاود البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين، فعجل لهم شاور مائة ألف دينار، وسألهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال، فرحلوا، وجعل شاور يجمع لهم المال من أهل القاهرة ومصر، فلم يتحصل له إلا قدر لا يبلغ خمسة آلاف دينار، وسببه أن دُور أهل مصر قد احترقت بما فيها، وما سلم، نُهب، وهم لا يقدرون على الأقوات؛ فضلًا عن الأقساط"[٢٨].

---

[٢٦] ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفي ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٩، ص٣٤٣.

[٢٧] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة)، الطبعة الثالثة ١٩٦٤م، ص١٩٤.

[٢٨] ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٣٣٨- ٣٣٩.

نتائج السفارة الفاطمية لنور الدين:

خروج الصليبين من مصر:

لما قرب أسد الدين من مصر، رحل الفرنج عنها عائدين إلى بلادهم، فلما وصل أسد الدين إلى القاهرة، دخل إلى العاضد، فخلع عليه، وعاد إلى المخيم بالخلعة، وفرح بها أهل مصر، وأجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة والإقامات الوافرة. ولم يستطع شاور معارضة أسد الدين شيركوه في شئ من ذلك؛ لأنه رأى العساكر كثيرة مع شيركوه، وهوى العاضد معهم، فلم يتجاسر على إظهار ما في نفسه من حقد عليه[٢٩].

الخاتمة:

من أهم النتائج التي تم تناولها في هذا البحث؛ الدوافع الحقيقة المتعددة التي حركت السفارات الفاطمية لطلب التعاون مع نور الدين محمود، واختيار الفاطميين للسفير أسامة بن منقذ الذي اتصف بالملكة اللغوية والبلاغة، وكان غرض الفاطميين سياسي أكثر من كونه ديني؛ حيث كانت الدولة الفاطمية تسعى بكل قوة لاستعادة الممتلكات التي احتلها الصليبيون، ولم يُعرف عن الفاطميين – خاصةً في فترات الضعف – اهتمامهم بالأمور الدينية؛ إذ كان جل اهتمامهم الدعاء للخليفة الفاطمي على المنابر، ومما يؤكد هذا القول، أن المصادر التاريخية لم تذكر أن أحد الخلفاء قد حج إلى بيت الله الحرام، كما أن الدولة الفاطمية قد تأكد لديها أن القوات الصليبية لم تكن جادة معها عند عقد الاتفاقيات.

أما عن الدولة النورية؛ فكان زعيمهم نور الدين محمود يرفع راية الجهاد ضد القوات الصليبية، ورغم الاختلاف المذهبي مع الفاطميين؛ إلا أنه لم يمانع توحيد الجهود معهم للوقوف ضد القوات الصليبية، ولولا انشغاله بأمر دمشق، لكان قد اتحد معهم ضد الصليبيين، ورغم انشغاله؛ إلا أنه أرسل بعضًا من الجنود مع أسامة بن منقذ دليلًا على التأييد والدعم للفاطميين، وكانت دوافع نور الدين محمود دينية وسياسية، إذ عُرف عنه جهاده المستمر ضد الصليبين، والحرص على توحيد كافة القوى الإسلامية ضد القوات

[٢٩] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٤٧.

الصليبية، وعندما استنجد المصريون بنور الدين؛ لم يتوان عن إنقاذ مصر من أيدي القوات الصليبية التى تحالفت مع الوزير شاور، ومن أجل هذا الهدف، تم تبادل السفارات بين نور الدين محمود وبين الدولة الفاطمية عدة مرات بقصد توحيد الجهود ضد الصليبيين.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفي ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- الحضرمي: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠ – ٩٤٧هـ)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج، الطبعة الأولى، جدة، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م.
- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي (المتوفي ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٩٤م.
- ابن أيبك الدوادري: أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري (المتوفي بعد ٧٣٦هـ)، كنز الدرر، الجزء السابع، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: صلاح عيسى البابي الحلبي، (ل.م)، ١٣٨٠ هـ – ١٩٦١ م.
- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (المتوفي ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، مصر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ابن العديم: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفي ٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر(د.ت).

- ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفي ٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- أبو الفدا: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفي ٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة (د.ت).
- ابن القلانسي: حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي (المتوفي ٥٥٥هـ)، تاريخ دمشق لابن القلانسي، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان، الطبعة الأولى، دمشق، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (المتوفي ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، الجزء ٢– ٣، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- ابن منقذ: أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكلبي الشيزري (المتوفي ٥٨٤هـ)، الاعتبار، تحرير: فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر (د.ت).
- ابن ميسر: محمد بن علي بن يوسف بن جلب (المتوفي في حدود عام ٦٧٧هـ)، أخبار مصر، تصحيح: هنري ماسيه، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩١٩م.
- ابن واصل التميمي: محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم بن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين (المتوفي ٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.
- ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (المتوفي ٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

ثانيًا: المراجع:

- أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر(تفسير جديد)، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة)، الطبعة الثالثة ١٩٦٤م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية (صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى)، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧١م.
- محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠م.
- محمد سهيل طقوش: تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام (٥٢١- ٦٣٠هـ/ ١١٢٧- ١٢٣٣م)، دار النفائس، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- محمد مؤنس عوض: في الصراع الإسلامي الصليبي (السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩هـ/ ١١٤٦- ١١٧٤م)، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٨م.